مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية المجلد (26) العدد (2)2004
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Economic Science Series Vol (26) No (2) 2004

هجرة العقول والكفاءات الفنية والآثار الناجمة عنها
(دراسة حالة العقول والكفاءات العربية)

الدكتور عبد الهادي الرفاعي*
الدكتور وليد عامر **
سنان علي ديب ***

(قبل للنشر في 2004/11/24)

□ الملخّص □

تعد الهجرة الدولية الوافدة والخارجة في كل المجتمعات والدول شكلا طبيعيا من أشكال الحراك الاجتماعي.

و تأخذ هذه الهجرة شكلين لا ثالث لهما، فإما أن تكون دائمة أو مؤقتة، وقد تأخذ طابعا أسريا أو طابعا فرديا.

و سوف نتناول هجرة العمالة السورية بشكل عام ونركز على هجرة الكفاءات والعقول لما لهذه الهجرة من تأثير كبير وخطير على مختلف جوانب التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

كما نتطرق إلى الأسباب المؤدية لحدوث هذه الهجرة في الوقت الحالي أو أدت لحدوثها في الماضي حيث نتعرف إلى الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والأسباب السياسية ثم نتطرق إلى الآثار الناجمة عن هذه الهجرة بالنسبة للبلد المصدر سواء كانت سلبية أو إيجابية وكذلك الآثار الايجابية بالنسبة للبلد المستقبل للهجرة، ثم نعمل على إيجاد بعض الحلول للتخفيف من حدة هذه الظاهرة أو للاستفادة من الكفاءات والعقول المهاجرة.

* أستاذ مساعد في قسم الإحصاء – كلية الاقتصاد – جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا
**مدرس في قسم الاقتصاد والتخطيط – كلية الاقتصاد – جامعة تشرين – اللاذقية– سوريا
***طالب دكتوراه في السكان والتنمية – قسم الإحصاء– كلية الاقتصاد – جامعة تشرين –اللاذقية – سوريا

مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية المجلد (26) العدد (2)2004
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Economic Science Series Vol (26) No (2) 2004

The Migration of Brains and Qualifications and Its Effects
(A Study about the Status of Arabia Qualifications and Brains)

Dr. Al- Rifai Abdul Hadi *
Dr. Amer Waleed **
Deeb Sinan ***

(Accepted 24/11/2004)

□ ABSTRACT □

The international migration movement is considered to be one of the natural social movements in any society or nation. It takes only two forms: either permanent or temporal, and it can be of either family or individual type.

In this research we deal with the migration of the Syrian labor in general, and the migration of qualifications in particular because of its great and serious effects on the different dimension of the social and economical development.

We also discuss the leading reasons that cause the occurrence, or that caused its occurrence in the past, from which we can recognize the economical, social and political reasons. Then, we deal with the effects of this migration on the source county whether positive or negative, besides illustrating the positive effects on the target county. Then, we try to find some solution in order to decrease the serious effects of this phenomenon or to get benefit of the migrated brains and qualifications

***Associate Professor, Department Of Statics- Faculty Of Economics – Tishreen University- Lattakia- Syria.**
****Lecturer، Department Of Economics And Planning –Faculty Of Economics –Tishreen University –Lattakia – Syria.**
*****Student Of Doctora,– Department Of Statics – Faculty Of Economics – Tishreen University- Lattakia- Syria.**

مقدمة:

تعرف اليونسكو ظاهرة هجرة الكفاءات الدولية بأنها نوع شاذ من أنواع التبادل العلمي بين الدول يتميز بالتدفق في اتجاه واحد هو اتجاه الدول الأكثر تقدما من الدول الأقل تقدما وهو ما أطلق عليه البعض النقل العكسي للتكنولوجيا حيث أن هذه الظاهرة تمثل استلابا للفئة المتميزة والقادرة على تطوير الإنتاج وتعد من أهم عناصر الإنتاج إذ هي العنصر البشري بكل ما يحمله من معارف ومهارات وتقنيات ويتم توظيفها والاستفادة منها في معامل ومراكز أبحاث وجامعات ومدارس الدول المتقدمة بما يساعد على تطوير التكنولوجيا القائمة في تلك الدول وحجب معظمها عن الدول الأقل تقدما، وهذا الأمر يؤدي إلى تكريس تخلف الدول الأقل نموا وتحقيق منافع كبيرة للدول المتقدمة .(1)

وظاهرة هجرة الكفاءات الفنية والعقول ظاهرة قديمة بالنسبة للدول العربية بشكل عام وسورية بشكل خاص حيث بدأت هذه الهجرة منذ أواخر القرن التاسع عشر في كل من سورية ولبنان وفلسطين باتجاه دول أمريكا وذلك بسبب فشل الإصلاحات العثمانية وصعوبة استيعاب المجتمع للمثقفين وبطء النمو الاقتصادي وقلة فرص العمل المجدي نتيجة التدهور الاقتصادي في أواخر العهد العثماني(2)، وأستمر النزيف السوري والعربي من هذه الكوادر بسبب الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية كما استمرت الآثار السلبية على المجتمعات المصدرة والمكاسب الكبيرة على الدول السالبة لهذه الكفاءات وقد حاولت العديد من الدول العربية الحد من هذه الهجرة وإرجاع الكفاءات ولكن هذه المحاولات جميعها باءت بالفشل تقريباً. (3)

مشكلة البحث

يناقش بحثنا مشكلة خطيرة ذات نتائج سلبية كبيرة على مختلف جوانب التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وهي ظاهرة هجرة الكفاءات الفنية والعقول وتتبع خطورة هذه الظاهرة من الحجم الكبير الذي تشكله هجرة هذا الجزء من المجتمع ومن الآثار السلبية التي تخلفها على عملية التنمية .

أهمية البحث

تنبع أهمية بحثنا من كونه يسلط الضوء على ظاهرة خطيرة لها انعكاسات كبيرة على مختلف نواحي التنمية وخصوصا التنمية الاقتصادية والاجتماعية ألا وهي هجرة الكفاءات الفنية والعلمية السورية خصوصا والعربية بشكل عام، هذه الكفاءات التي تشكل العناصر المؤهلة والمدربة والقادرة على تنمية المجتمع وإعداد وتأهيل العناصر القادرة على استمرارية التنمية والسير ببلدها نحو التطور والتقدم بما يساير ويماشي التطور العالمي، هذه الهجرة تأتي في وقت تتعرقل فيه مسيرة التنمية في أغلب الدول العربية بما فيها سورية بسبب نقص الكوادر العلمية والإدارية والفنية .

أهداف البحث

يهدف بحثنا إلى معرفة حجم الكفاءات الفنية والعقول المهاجرة من سورية مقارنة بالدول العربية، وإلى معرفة الأسباب المؤدية إلى تضخم حدوث هذه الظاهرة والكشف عن الآثار الناجمة والمترتبة عن حدوث هذه الظاهرة، ومحاولة إيجاد الحلول الكفيلة بالتخفيف منها والاستفادة من الكوادر المهاجرة قدر المستطاع.

تساؤلات البحث

- هل ظاهرة هجرة الكفاءات الفنية والعقول السورية هي ظاهرة جديرة بالدراسة من جهة عدد المهاجرين وكفاءاتهم؟
- هل توجد أسباب داخلية تؤدي إلى حدوث هذه الهجرة؟
- هل تختلف الظروف في البلد المستقبل للهجرة عن ظروف البلد الأصلي؟
- ما هي الفوائد التي يحققها البلد المصدر للهجرة وهل الفوائد اكبر من الخسائر الناتجة عن هذه الهجرة؟
- هل تحقق البلدان المستقبلة للهجرة فوائد من هذه الهجرة أم أنها تؤدي إلى حدوث بطالة في بلدانها؟

حجم الكفاءات العربية المهاجرة :

تمثل هجرة الكفاءات حدثا على غاية من الأهمية حيث إنها هدر لقدرات البشر العلمية في معظم الدول العربية ومنها بالطبع سورية، وفي هذا الخصوص ورد في إحدى الدراسات أن ما بين خمسة وسبعة آلاف من الكفاءات العربية تهاجر سنويا نحو الدول الغربية الصناعية (4)، وإن (60%)ممن درسوا في أمريكا في العقود الثلاثة الأخيرة لم يعودوا إلى بلدانهم وفي فرنسا تدل الإحصاءات على أن (50%) ممن درسوا فيها لم يعودوا إلى بلدانهم، (5) ووفقا لتقديرات أصبحت قديمة بلغت النسبة المئوية لهجرة الأطباء والمهندسين والمشتغلين بالعلوم الطبية إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة حتى سنة 1976 نحو 50% و23% و15 % على التوالي من مجموع الكفاءات العربية (6)

وحسب تقديرات أخرى ترجع إلى عام 1980 فإن نصف العلماء الحائزين على شهادات الدكتوراه في التخصصات العلمية سواء الطبية أو الهندسية هاجروا من الدول العربية ولا يعمل في الدول العربية سوى اثنين من كل خمسة باحثين عرب.

وورد في دراسة أخرى أن نحو 36 % من السودانيين المهاجرين إلى الولايات المتحدة هم من الأطر الفنية والتقنية ويمثلون نحو 44 % من مهندسي السودان وعلمائه وأطبائه. (7)

وقد بلغت الأرقام التي تدل على حجم هجرة الكفاءات السورية بشكل خاص والعربية عموما حدا يعجز معه المرء عن التصديق، والجدول التالي يبين حجم الكفاءات السورية المهاجرة مقارنة ببعض البلدان العربية عام 2001 :

جدول رقم (1): يبين نسبة الكفاءات في بعض الدول العربية إلى عدد السكان وإلى قوة العمل والكفاءات في كل دولة مقارنة بالكفاءات العربية عام 2001

الدولة	عـدد السـكان بالآلاف *	القوى العاملة بالآلاف *	حجم الكفاءات المهاجرة**	نسـبة الكفـاءات المهـاجرة مـن السكان ***	نسـبة الكفـاءات المهـاجرة مـن القوى العاملة ***	نسـبة الكفـاءات المهاجرةإلىمجموع الكفاءات العربيـة المهاجرة ***
سورية	16188	4559	315625	%2	%7	%11
مصر	67885	16710	450000	%1	%3	%16
لبنان	3497	1068	350196	%10	%33	%12
العراق	22946	5746	628000	%3	%11	%22
الأردن	4913	1671	95963	%2	%6	%3
المغرب	29878	10748	415407	%1	%4	%14
الجزائر	30309	9416	275400	%1	%3	%10
تونس	9458	3562	99093	%1	%3	%3
إجمـالي البلـدان العربية	284300	94323	2876495	%1	%3	–

المصدر: * تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام / 2002 / الأمم المتحدة قائمة الجداول .

** عيسى سامي، المهنا، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية آب، 2004، دمشق – ص 25 – 27

*** النسب حسبت من قبل الباحث

***** مجموع نسب الكفاءات العربية لا تساوي 100 والسبب انه لا يدرس هجرة الكفاءات بالنسبة لكل الدول العربية

من خلال الجدول السابق نلاحظ ما يلي:

أن العراق هي أكثر الدول نزفا للكفاءات الفنية والعقول من حيث الحجم ثم مصر – المغرب – لبنان – سورية – الجزائر – تو نس – الأردن وقد بلغ حجم الكفاءات العربية المهاجرة (2876495) كفاءة .و الشكل البياني التالي يوضح حجم الكفاءات المهاجرة في بعض الدول العربية مقارنة بإجمالي الكفاءات العربية المهاجرة:

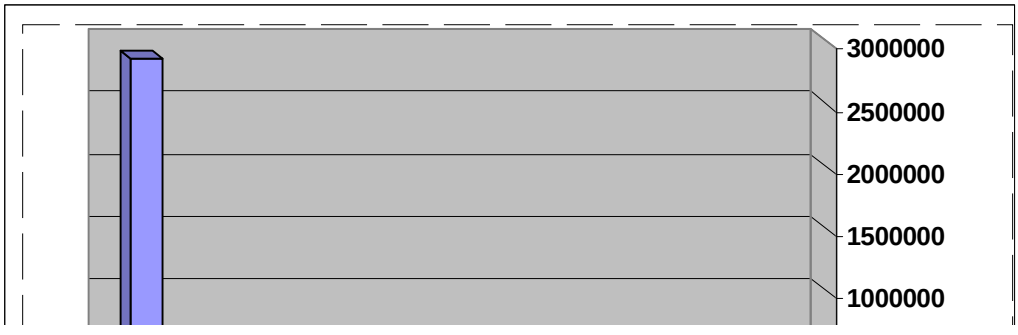

الشكل البياني رقم (1) يوضح حجم الكفاءات العربية المهاجرة

أما إذا أخذنا نسبة الكفاءات المهاجرة مقارنة مع حجم السكان في كل بلد فإن لبنان هو البلد الأكثر نزفا للكفاءات بالنسبة للسكان، حيث بلغت نسبة الكفاءات المهاجرة (10 %) من حجم السكان ثم العراق (3 %) ثم سورية والأردن (2%) ثم مصر وتونس والمغرب والجزائر (1 %) علما أن نسبة الكفاءات العربية المهاجرة إلى إجمالي عدد السكان في البلدان العربية المدروسة تساوي (1 %) .

و الشكل البياني التالي يبين نسبة الكفاءات الفنية المهاجرة من إجمالي السكان في بعض الدول العربية

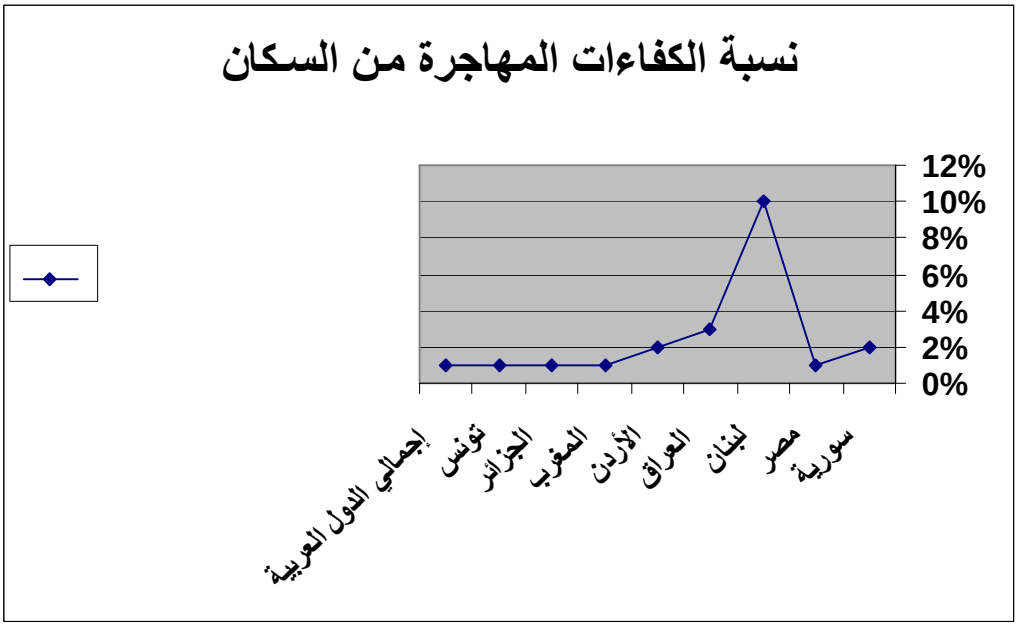

الشكل البياني رقم (2) يوضح نسبة الكفاءات المهاجرة لبعض البلدان العربية مقارنة بحجم السكان

إذا أخذنا حجم الكفاءات المهاجرة كنسبة من القوى العاملة فإننا نجد أيضاً أن لبنان هي الدولة العربية الأكثر نزفا حيث بلغت نسبة الكفاءات المهاجرة (33%) من القوى العاملة اللبنانية تلاها العراق (11 %) ثم سورية

(7%) فالأردن (6%) فالمغرب (4 %) ثم تونس والجزائر ومصر (3 %) علما أن نسبة الكفاءات العلمية والفنية العربية المهاجرة تشكل (3%) من إجمالي القوى العاملة العربية .

و الشكل البياني التالي يوضح نسبة الكفاءات العربية المهاجرة من إجمالي القوى العاملة في البلدان المعنية .

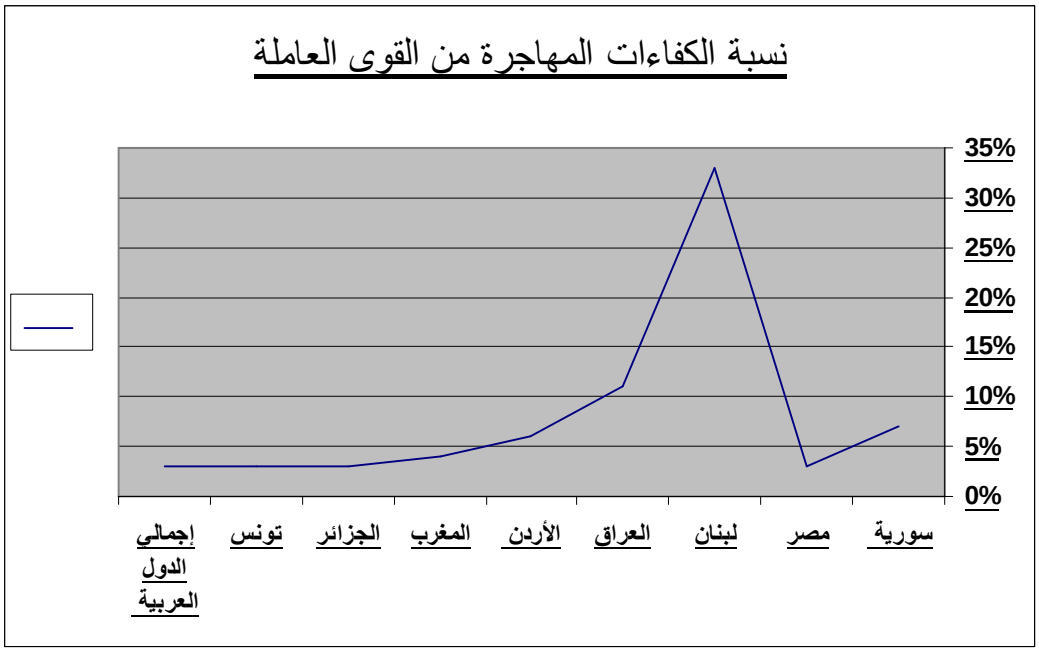

الشكل البياني رقم (3) يوضح نسبة الكفاءات العربية المهاجرة لبعض البلدان العربية مقارنة بحجم القوى العاملة

و أما إذا أردنا معرفة نسبة الكفاءات المهاجرة في البلدان العربية المختلفة مقارنة بإجمالي الكفاءات العربية المهاجرة فقد كانت على النحو التالي :

كانت الكفاءات والعقول السورية المهاجرة تشكل نسبة (11%) من حجم الكفاءات العربية والكفاءات المصرية تشكل (16%) أما الكفاءات اللبنانية فإنها تشكل نسبة وقدرها (12%) والعراقية (22%) والجزائرية (10%) والتونسية (3%) والأردنية (3%) .

و بالنسبة لتوزيع الكوادر والكفاءات حسب الاختصاصات فكانت كما يلي :

1 – سورية: فقد كانت الكوادر السورية المهاجرة تتألف من

أ – طبيب اختصاصي (123484)

ب – مهندس (119911) مهندسا منهم (14602) حملة دكتوراة

ج – 3440 طبيب أسنان اختصاصي .

د – 2910 صيدلاني .

هـ – 11550 خريجا من الاختصاصات المختلفة منهم 5192يحمل الدكتوراة .

و– (54330)– اختصاصا نظريا منهم 14619 يحملون الدكتوراه .(8)

2 – مصر: وبالنسبة لتكوين الكوادر المصرية المهاجرة فقد كان على النحو التالي :

أ – /180000 / طبيب .

ب – /120600/ مهندس .
ج – (علماء، إدارة أعمال، اختصاصات أخرى)/ 148400 /. ويحمل منهم الدكتوراه حوالي (30%).
و توزع هذه الكوادر المصرية المهاجرة حسب البلد المهاجر إليه على النحو التالي (42% الولايات المتحدة) (42 % أوروبا)، (16 % دول أخرى).

3– لبنان :أما الكوادر اللبنانية المهاجرة فكانت تتوزع حسب الاختصاصات على النحو التالي:
أ – (36%) تقني هندسي .
ب – (23.5%) طبي وخدمات طبية .
ج – (4%) علوم.
د – (22.7 %) إدارة وخدمات .
هـ – (4.32%) آداب وعلوم إنسانية) ،
و – (9.5%) اختصاصات مختلفة .

ويتوزع هؤلاء حسب البلدان التي هاجروا إليها على النحو التالي :24 % الولايات المتحدة، 13.4 % كندا، 8.2 أستراليا، 54.4 % أوروبا.(9)

و تعد الولايات المتحدة في العصر الحالي من أكثر الدول استقطابا للكفاءات بشكل عام والعربية بشكل خاص من حيث العدد والأهم من ذلك النوعية المتميزة حتى أنها تعتبر كل شخص يكمل تعليمه في معاهدها وجامعاتها، ويعود إلى بلده الأصلي بمثابة هجرة عقول أمريكية ولا تتوانى عن ممارسة شتى الإغراءات المالية والمادية وحتى الترهيب أحيانا، ويقدر عدد الأطباء المهاجرين من الدول النامية الموجودين في الولايات المتحدة بـ (24000) طبيب، أما المهندسون فقد بلغ عددهم (8500) مهندس، كما أن العلماء المشتغلين بالعلوم الطبيعية بلغ عددهم (1575) عالما .

و إذا بحثنا المصدر الرئيسي للعلماء والمهندسين والأطباء المهاجرين إلى الولايات المتحدة فقد كان على النحو التالي: (50 %) من مصر، (15 %) من العراق ولبنان، (5 %) من سورية والأردن و(4 %) من فلسطين والنسبة الباقية والبالغة (26 %) فهي من مختلف دول العالم. (10)

و تشير مصادر دبلوماسية في السفارة الأمريكية إلى أن عدد السوريين الذين يحصلون على التأشيرة يصل في الوقت الحالي إلى(11300) شخص سنوياً وأكدت السفيرة الكندية أن عدد المهاجرين السوريين إلى كندا يتراوح بين(50000 – 60000) شخص سنوياً .(11)

بالنسبة للسوريين كذلك يهاجر قسم كبير إلى فرنسا وألمانيا طبعا وتعتبر بلدان الخليج العربي سوقاً لعمل مئات الآلاف من السوريين والذين يشكل أصحاب الكفاءات الجزء الأكبر منهم.

الأسباب المؤدية إلى هجرة الكفاءات الفنية (هجرة العقول) :

يمكننا تقسيم الأسباب التي تؤدي إلى هجرة الكفاءات الفنية إلى مجموعتين من الأسباب هما :

1 – عوامل الطرد: وهي التي تتعلق بالعوامل المحلية المختلفة التي أثرت على الشخص في بلده، وجعلته يغادره إلى بلد آخر، وتتعدد هذه العوامل من اقتصادية إلى اجتماعية وثقافية وتربوية وتعليمية .

2 – عوامل الجذب: وهي العوامل والظروف والشروط المتوافرة في البلد الذي هاجر إليه الشخص وهذه العوامل تفوقت على الكثير من القيم والثوابت المتواجدة لدى الشخص، حيث جعلته لا يفكر بالعودة إلى وطنه (في الفترة الحالية على الأقل)، وفي بحثنا هذا سوف نتطرق إلى هاتين المجموعتين من الأسباب :

أولا: عوامل الطرد :

إن العوامل التي تؤدي إلى تفكير الشخص بالهجرة وعدم الرجوع إلى بلده بسبب ظروف البلد تختلف من شخص إلى آخر حسب طبيعة الفرد وتعليمه وتخصصه، وغالبا ما يكون تأثير أكثر من عامل من هذه العوامل أو كلها مجتمعة هي الأسباب النافرة بالنسبة للشخص من بلده وفيما يلي مجموعة من الأسباب المؤدية إلى هجرة الكفاءات العلمية والفنية :

1 – الأسباب الاجتماعية :

لعب تمسك المجتمع بعادات وتقاليد متشددة تجاه أمور معينة نقيضة لما رآه المهاجر في المجتمع الجديد من حرية وعلاقات جديدة دورا مهما في بقاء الشخص المهاجر في الخارج هاربا من قيود هذه العادات والتقاليد .

و من ناحية أخرى فإن بروز فئات اجتماعية ذات ثروات هائلة حصلت عليها بأساليب غير شرعية أو عن طريق المضاربات وخاصة العقارية أو عن طريق الفساد والرشوة واستخدام هذه الثروات في تدعيم مواقف هذه الفئات في كافة نواحي المجتمع على حساب شرائح كبيرة من العلماء وحملة الاختصاصات العلمية وأصحاب المهن وأصحاب الكفاءات العلمية المختلفة هؤلاء الذين لديهم حساسية تجاه قيم العدالة المطلقة والمساواة (12). وكذلك تلعب البطالة المنتشرة بكثرة في الدول العربية حيث بلغت نسبة البطالة في الأردن عام 1999(14.4%) من قوة العمل وفي لبنان عام 1997(8.5 %) وفي مصر (8.7%) عام 1996 وفي السودان في نفس العام (17%) وفي المغرب عام 1999(14.5 %). (13)

وفي سورية ازداد معدل البطالة عام /2003/ ليصبح (11.7%) من قوة العمل بعد أن كان حوالي (9.5%) عام 1999 وإذا أخذنا البطالة المقنعة والبطالة الموسمية يصبح عدد العاطلين عن العمل حوالي (3)ملايين شخص ويمثل حملة الشهادات الجامعية والدراسات العليا جزءاً كبيراً من هؤلاء (14)

2 – الأسباب الاقتصادية:

ضعف الأجور بشكل عام وعدم وجود سياسة للأجور تحقق العدالة القائمة على أساس الكفاءة والاختصاص وعدم تمييز أصحاب الكفاءات من حيث المكافآت والحوافز مما يؤدي إلى صعوبة في تأمين المستوى المعيشي اللائق له ولأولاده إن استطاع بهذه الإمكانات المالية الزواج والاستقرار وتأمين المنزل ،كل هذه الأمور تجعل التفكير بالانتقال إلى خارج البلد أساسيا من أجل تأمين المتطلبات المالية اللازمة لحياة ذات مستوى معاشي مناسب .(15)

3 –الأسباب التعليمية :

السياسات التعليمية غير الملتزمة بمخطط معين أدت إلى زيادة أعداد الخريجين بما لا يتوافق مع الخطط التنموية والاجتماعية والاقتصادية، وكذلك اعتماد هذه السياسات على مناهج لا تتناسب مع سوق العمل مما

أدى إلى حدوث بطالة كبيرة حتى لأصحاب الشهادات العليا، بالإضافة إلى ضعف التخطيط بالنسبة إلى إرسال الكثير من الكوادر وفق اختصاصات لا تتناسب مع خطط التنمية ولا تحمل فرصا للعمل في المرحلة الراهنة، أدت إلى التفكير بمغادرة الوطن بعد فترة وجيزة من العودة (16)

4 – ضعف الاهتمام بالعلماء وبالبحث العلمي :

عدم توفر التسهيلات العلمية وعدم وجود المناخ الملائم لإمكانية البحث العلمي (17)، حيث إن الإنفاق على البحث والتطوير كحصة من الناتج القومي في العالم تفوق عشرات المرات القيمة التي ينفقها الوطن العربي. فوفقا لتقرير العلم في العالم الذي تصدره اليونسكو، يعد تمويل البحث العلمي في العالم العربي من أكثر المستويات انخفاضا في العالم، فقد بلغ معدل الإنفاق العلمي نسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي (0.14 %) فقط في العالم العربي، مقابل (2.53 %) عام 1994 لإسرائيل و2.9% لليابان و(1.62%) لكوبا .(18)

بالإضافة إلى الكثير من العراقيل التي توضع في وجه البحث العلمي والفكري الحر (19)

5 – الفساد الإداري والرشوة :

إن الفساد الإداري والرشوة يؤديان إلى تعيين الأشخاص على أساس القرابة العائلية والعلاقات الشخصية أو مقابل مبالغ معينة من المال مما يؤدي إلى تهميش أصحاب الكفاءات العلمية والفنية ومحاربتهم بسبب عدم توافق مؤهلاتهم وعدم تلبيتهم لجميع الاملاءات المفروضة من قبل هؤلاء المدارء الذين يشعرون بأن أصحاب الكفاءات بمثابة أعداء لهم وهذا يؤدي إلى شعور ذوي الكفاءات بالكبت والاشمئزاز وعدم إمكانية التغير مما يؤدي إلى إهمال العمل والمؤسسة وفي النهاية الهجرة .(20)

6 – الفجوة المعرفية والرقمية والتقنية :

لعل التقصير في مواكبة التقدم التقني والتكنولوجي، واستخدامه في تطوير العملية الاقتصادية والاجتماعية من الأسباب المؤدية إلى هجرة الكفاءات. (21)

كذلك تفتقر البلدان العربية إلى سياسات التقانة الملائمة التي تعزز تطوير المعاهد والمنظمات الوطنية التي ستكون قادرة على القيام بالخدمات التقنية المرغوب بها، وتلك تشكل قوة دفع وراء هجرة الدمغة .

وحتى عندما تستورد التقنية فتكون غريبة عن مجتمعنا، ولا تساعد على تطوير التقنية الخاصة بمجتمعنا، ويلاحظ بأن إدخال التكنولوجيا والمعلوماتية إلى أغلب القطاعات الاقتصادية يكون بمثابة إقحام أو تقليد بما لا تقتضيه العملية الاقتصادية (22).

7 – الأسباب السياسية:

كان لعدم الاستقرار السياسي الذ ي شهدته سورية ومختلف الدول العربية بعد التحرر من الاستعمار المباشر وللانقلابات العسكرية المتكررة دورا كبير في هجرة أصحاب الكفاءات والعقول وكذلك للحروب المتكررة وللوضع السياسي المضطرب والصراع الدائم مع الإمبريالية العالمية والكيان الصهيوني (23) كذلك لانعدام الديمقراطية وحرية التعبير عن الرأي، والتقييم على أساس الموالاة لرأي السلطة والتنظيمات التي تمثل هذه السلطة وأي رأي مخالف يشكل تهديدا للوطن ولمصالح الوطن .

8 – التقييد المؤسساتي:

إن الإنسان في المجتمع العربي عاجز عن تحقيق طموحاته والتأثير بالأحداث التي تصنع مصيره فتسيطر عليه مؤسساته السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية وتستخدمه لمصالحها الخاصة بدلا من أن يعمل على

خدمة وتنمية مواهبه الإبداعية وبهذا يشعر الإنسان بأنه لا يعمل من أجل نفسه ولا من أجل المجتمع بل في خدمة أصحاب المصالح الخاصة. (24)

ثانياً – عوامل الجذب :

وهي عبارة عن مجموعة من العوامل التي تتوفر في البلد المستقطب أو المهاجر إليه حيث تكون محصلة هذه القوى الجاذبة ذات تأثير كبير على الشخص مكونة جدارا كبيرا بينه وبين وطنه الأم ومن هذه العوامل :

1 – المحيط العلمي الأكثر تقدما الذي يحفز على مواصلة البحث والتجريب وزيادة الخبرة، فظروف العمل في البلدان المتقدمة وسيلة لتحقيق الطموحات العلمية بما توفره من فرص البحث العلمي ووسائله فالجو العلمي الذي تؤمنه المراكز البحثية والجامعات هو حقا ملائم للإنجاز العلمي وضامن للفرص التي يحتاجها من تتوفر لديه الكفاءة والقدرة العلمية (25) .

2 – اعتماد الترقية والترفيع بالدرجة الأولى على البحث المنتج والكفاءة الفردية بغض النظر عن أية اعتبارات أخرى .

3 – المستوى المعاشي الجيد الذي يحققه الفرد والضمانات الاجتماعية وخدماتها ووسائل الاستهلاك والرفاه المادي وتسهيلاته

الآثار الناجمة عن هجرة العقول والكفاءات العلمية :

بالنسبة للبلدان المرسلة :

أ – الآثار السلبية :

تمثل هجرة الكفاءات اقتطاعا من القوى العاملة المتميزة المتوفرة لدى البلاد والتي تحتاج إليها حاجة ماسة في الجهود التي تبذلها في التنمية بشكل عام والتنمية الاقتصادية والاجتماعية بشكل خاص، وبقدر ما يكون مستوى كفاءة القوى العاملة عاليا ومرتفعا بقدر ما تكون الخسائر التي يتكبدها البلد وتأثيرها على التنمية أكبر فخسارة الكفاءات العربية بشكل عام والسورية بشكل خاص تؤثر على المجتمعات في الأمور التالية :

- إن خسارة الطاقة البشرية المتخصصة تخفض القدرات الفكرية في البلد المعني وتشل الجهود الوطنية لحل المشكلات الوطنية .
- تفقد البلاد القدرة على تحليل مشاكلها والقدرة على التخطيط بفاعلية .
- تفقد البلاد موردا خلاقا وحيويا وأساسيا بالنسبة لتطورها (26) .
- تفقد الموارد البشرية في البلد المعني إمكانيات كبيرة كانت قادرة على تأهيل هذه القوى البشرية وتدريبها وخلق تنمية مستدامة للموارد البشرية. (27)

وتتزايد فداحة التكاليف الناشئة عن الكفاءات عندما تحدث الهجرة بين فئات القوى العاملة الأفضل تدريبا وإعدادا والذين استطاعوا بفضل أقدميتهم في العمل أن يكسبوا خبرة مهنية واسعة خصوصا عندما تقترن بمستوى عال من الإعداد والتدريب المهني وبالفعل فإن الخبرة تشكل عنصرا هاما في إغناء مواصفات القوى العاملة شأنها شأن التعليم والتدريب المهني وهي تشكل عنصرا أساسيا في المجال الواسع للمعرفة والخبرة الجماعية والتي بدونها تتعرض كل محاولات التنمية للفشل.

إن الهجرة ظاهرة خطيرة بشكل عام وهجرة الكفاءات بشكل خاص تعتبر خطرا على التطور الاقتصادي والاجتماعي وتكمن الخطورة في العجز الحاصل في الكوادر اللازمة لرفع وتيرة التطور الاقتصادي والاجتماعي . (28)

النتائج التعليمية والثقافية:

يمكن أن نختصر النتائج من هذه الناحية بما يلي :

- تناقص قدرة البلد في إعداد المؤهلين اللازمين لعملية التنمية حيث أن هجرة الكفاءات تحرم الجامعات والمعاهد والمؤسسات التعليمية والتأهيلية من الأجهزة والكوادر التي يكون بإمكانها تطوير التعليم وتأهيل الكوادر القادرة لدفع عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ظل توفر ظروف مناسبة .
- انخفاض المستويات التعليمية في البلد نتيجة تناقص معظم العناصر المؤهلة من أعضاء الهيئة التدريسية بالنسبة لعدد الطلاب في الجامعات والمعاهد والمؤسسات التعليمية مما يؤدي إلى تخرج دفعات ذات كفاءة محدودة
- الخسائر المالية والمادية التي صرفت على الفرد المهاجر حتى وصل إلى هذه المرحلة من العلم والكفاءة والمهارة سواء المصاريف التي قدمها أهله وأسرته أو المجتمع بما تنفقه من خدمات تعليمية وصحية وبنى تحتية وفي دراسة للمركز العربي للدراسات الاستراتيجية بينت أن تكلفة إعداد الشخص الواحد تكون كما يلي:

اختصاص أربع سنوات (34888) دولارا .

اختصاص علمي خمس سنوات (44979) دولارا .

اختصاص علمي ست سنوات (46284) دولارا (29)

ووجدت الدراسة أن الكلفة الإجمالية للعالم المهاجر والحاصل على الإجازة أو على الدكتوراه وما يعادلها (تتضمن هذه الكلفة المراحل السابقة حتى نيله الدكتوراه مضافاً إليها خسارة الإنتاجية خلال تواجده في بلاد الاغتراب) كما يلي: الطب (305480) دولار، الصيدلة والأسنان والهندسات بمختلف أنواعها (116979) دولار، علوم بمختلف فروعها (115124)، الاختصاصات النظرية (106888) دولار .

أما إذا أردنا معرفة الكلفة الإجمالية لهجرة العقول العربية فقد بلغت (477) مليار دولار من دون حساب الخسارة الناجمة عن عدم عملها في بلدها الأصلي .(30)

- انخفاض الخدمات الاجتماعية وخاصة الصحية والتعليمية وخدمات التأهيل والتدريب بما ينعكس سلبا على تنشئة وإعداد الموارد البشرية وذلك بسبب كون معظم المهاجرين نخبة من الكفاءات ذات السوية الجيدة في هذه الاختصاصات .(31)
- انخفاض الإنتاجية في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مما يؤثر سلبا على استمرارية عملية التنمية .

ب – الآثار الإيجابية :

يمكن عن طريق الاحتكاك المتواصل الاستفادة من خبرات هذه الكفاءات والاطلاع على أحدث ما توصل إليه العلم والتقنية في مختلف المجالات وأخذ ما يناسب بلدنا ويؤدي إلى استمرار عملية التنمية وتقدمها. ويمكن الاستفادة من خبرات هؤلاء لتأهيل الكوادر المحلية .

حجم التحويلات المالية:

وتشكل التحويلات المالية التي يرسلها المهاجرون الإيجابية الأكثر فاعلية بالنسبة للبلدان العربية وخاصة البلدان التي لها عمالة ذات كفاءة فنية مهاجرة في دول الخليج العربي أو الدول المجاورة فقد بلغت التحويلات وعائدات المصريين في الخارج حوالي أربعة مليارات دولار(32)، كذلك استفادت سورية من تحويلات العمالة في دول الخليج خلال العقود الثلاثة الماضية إذ بلغ متوسط تحويلاتها نحو (400) مليون دولار خلال الفترة 1979 – 1989، ونحو (500) مليون دولار خلال الفترة 1990 – 2000 عدا التحويلات العينية (السلع) والمبالغ النقدية التي يتم إدخالها إلى البلد بطرق غير رسمية (لا يصرح عنها) وهي مبالغ تفوق بكثير حجم المبالغ التي يتم إدخالها بصورة قانونية (33).

وتساهم هذه التحويلات في سد عجز ميزان المدفوعات وتوفير العملات الصعبة اللازمة لدعم عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية

الآثار الايجابية بالنسبة للبلد المستقبل للكفاءات :

بالنسبة للدول المستقبلة فإنه من الصعوبة إنتاج أشخاص مدربين تدريبا عاليا وإن استيراد هؤلاء من الدول النامية أقل تكلفة من توسيع الجامعات وبهذه الهجرة فإن تحقيق الأهداف الوطنية للدولة المستقبلة أسهل وأقل تكلفة على عكس الدول المصدرة للهجرة (34)

توفير الأموال الطائلة اللازمة من أجل بناء المؤسسات التعليمية اللازمة لاستيعاب تأهيل الكوادر اللازمة لعملية التنمية في حال عدم إمكانية استقطاب هذه الكوادر .(35)

تحقيق الهدف الإمبريالي الاستعماري الذي تسعى من أجله كافة الدول الامبريالية وهو عدم تطور المنطقة العربية بشكل عام ومنطقة الشام بشكل خاص ليسهل التحكم بها ومن أجل استمرارية الارتباط بالغرب

النتائج والمقترحات:

إن الموارد البشرية المدربة وذات الكفاءة العالية هي الثروة الكبرى لأي بلد من البلدان فهي أثمن من كل الثروات الطبيعية وهي الأساس لبناء التنمية الشاملة بشكل عام والاقتصادية والاجتماعية بشكل خاص.

فهناك الكثير من الدول التي أصبحت من الدول المتقدمة اقتصاديا باعتمادها على الكوادر المدربة والمؤهلة بالرغم من فقرها بالثروات الطبيعية وهناك الكثير من الدول الغنية بثرواتها الطبيعية الفقيرة بكوادرها والتي مازالت تعد من الدول الفقيرة في الخدمات والمستوى المعيشي للمواطنين (36)

و بعد دراستنا السابقة وجدنا أن هجرة هذه الكفاءات والعقول تعتبر خسارة كبيرة للدول المصدرة وهي حاجز كبير تساعد في بنائه الدول الامبريالية من أجل استمرار التخلف وإن أية تحويلات مالية ناجمة عن هجرة هؤلاء تكاد تكون معدومة الفائدة مقارنة بالخسائر الناجمة عنها لذا نرى أن تقوم الدولة باتخاذ الإجراءات الكفيلة بالتقليل من هجرة كفاءاتها عن طريق القيام بالإصلاحات المناسبة والمتوافقة مع إمكانياتها سواء كانت إدارية أو اقتصادية أو سياسية أوفي مجال التربية والتعليم ومحاولة تقديم الإغراءات المالية والمعنوية من أجل جذب

المهاجرين واستقرارهم في بلدهم الأصلي وإن لم نستطع استقطابهم فهذا لا يمنع من الاستفادة قدر الإمكان من إمكانياتهم سواء في مكان إقامتهم أو في البلد المرسل ولعمل ذلك لا بد من اتخاذ مجموعة من الإجراءات العملية ومنها:

1- بسبب ضعف الإحصاءات عن حجم ومكان تواجد هذه الخبرات فلا بد من العمل على وضع سجل يتضمن اسم الخبرة والمكان الذي تتواجد به م الاختصاص الذي تمارسه .

2 – الاستفادة من التطور التكنولوجي في التواصل المستمر مع هذه الخبرات وخاصة عن طريق الكمبيوتر والانترنيت وهم في مكان الهجرة .

3 – الاحتكاك المستمر بهذه الخبرات عن طريق تشجيعها وترغيبها في إقامة الندوات والمؤتمرات في الوطن الأم .

4 – يمكن الاعتماد على هذه الكفاءات المهاجرة بجعلهم جسرا للتواصل بين البلد الأصلي والبلدان المهاجرين إليها واستثمار هذه العلاقة في العلاقات الاقتصادية والتسويقية بما ينعكس بالفائدة على اقتصاد البلد.

المراجع :

.....

1- د. الخوري، عصام، الاقتصادية العدد (35) / 3 آذار / 2002.

2 – لبكي، بطرس " ندوة هجرة الأدمغة العربية " المستقبل العربي العدد (266) /4/ 2004، بيروت، لبنان ص 107 .

3 – مرياتي، محمد، المرجع السابق، ص 115.

4 – عيسى، نجيب " قضايا التشغيل والتنمية البشرية في البلدان العربية " الأمم المتحدة، نيويورك 1997 ص 44.

5 – مرياتي، محمد مرجع، سبق ذكره، ص 102.

6 – عيسى، نجيب،مرجع، سبق ذكره ص 44.

7 – المصدر السابق، ص 44 .

8 – تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام / 2002 / الأمم المتحدة ،2003 .

9 – المهنا، عيسى سامي، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، العدد ()آب /2004 / دمشق ص 25 – 26 27.

10 – المرجع السابق ص 27 .

11 –المرجع السابق ص 26.

12– رياض، محمد < L I S T/ FORM / SHARE. HTM / ..>.

13 – السفارة الأمريكية، والكندية / GOGLE. NET/.

14 – د. حنوش، زكي، ظاهرة الهجرة من سورية " تشرين الأسبوعي " العدد 129 أيلول 2000 .

15 – تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002، الأمم المتحدة .

16 – د. مطانيوس حبيب " ندوة الثلاثاء الاقتصادي " دمشق 11 – 5 – 2004 .
17 – الخوري، عصام، الاقتصادية مرجع سبق ذكره .

18 – زحلان، أنطوان، المستقبل العربي /159 /، 1992 بيروت، ص 8 .

19 – رياض ،محمد، 2001 مصدر سبق ذكره.

20 – تقرير التنمية الإنسانية العربية، مصدر سبق ذكره ص 61.

21 – د. بركات، حليم " ندوة بعنوان هجرة الأدمغة العربية " المستقبل العربي، العدد (266) /4 / 2001 لبنان، بيروت ص 87.

22 – الجودة، عادل، ندوة سيما الاقتصادية 2000، دار الرضا للنشر، 2001 دمشق ص 233.

23 – تقرير التنمية الإنسانية العربية 2002 ،مصدر سبق ذكره،ص 70 .

24 – – زحلان، أنطوان " هجرة الكفاءات العربية " المستقبل العربي، العدد /159 /، 1992، بيروت ص10.

25 – د. حنوش، زكي مرجع سبق ذكره .

26 – مكداشي، محمد، ندوة المستقبل العربي، مرجع سبق ذكره ص111.

27 – حمزة، معين المرجع السابق. ص 103.

28 – زحلان، أنطوان مرجع سبق ذكره ص 11.

29 – حمزة، معين، مرجع سبق ذكره ص 104 .

30 – رياض، محمد، مرجع سبق ذكره .

31 – المهنا ،عيسى سامي، مرجع سبق ذكره ص24.

32 – المرجع السابق ص 38 .

33 – تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002 ص65.

34 – زحلان، أنطوان مرجع سبق ذكره ص 9 .

35– المرجع السابق ص 17 .

36 – غنزبرغ، أيلي الاقتصاد البشري، وزارة الثقافة، دمشق، 1980، ص 15.